الدولة الساسانية

أو الدولة الفارسية الرابعة فى العراق

سنة ٢٢٦ م - سنة ٦٣٧ م

بعد أن استولى أردشير بن بابك على العراق وقرض الدولة البرتية وأسس الدولة الساسانية أو دولة الأكاسرة الشهيرة فى التاريخ نظم إدارة البلاد العراقية وولى عليها الولاة ولم يتعرض بديانة العراقيين ولا بعاداتهم وأقر قوانين البلاد على حالها ولكنه اضطهد اليهود من أجل مساعدتهم للبرتيين أثناء الحروب التى قامت بينه وبين البرتيين فى العراق ، وأقر على الحيرة وما يليها ملكاً على العرب جذيمة الوضاح الذى كان محالفاً له قبل فتح العراق ثم خضع لسيادته وبسبب خضوعه هذا هاجر كثير من العرب ولا سيما تنوخ التابعين لحكومة الحيرة ونزلوا بادية الشام لأنهم أبو الرضوخ للفرس .

وبقى العراق فى هدوء حتى مات أردشير سنة ٢٤١ م بعد أن حكم خمسة عشر سنة (٢٢٦ م - ٢٤١ م) ومن مبانية فى العراق مدينة بهرسير بناها قلعة كبيرة بالقرب من موقع البصرة عداً ما حفره من الأنهار وما جدده من المدن مدينة سلوقية فأنه جدد بنائها فسميت بعد حين أرداشير.

مات هذا الفاتح والدولة الساسانية التى أسسها فى دورة التأسيس ولم يفتح بعـــد العراق (بعد محو البريتين والتغلب على مملكتهم) غير بلاد مابين النهرين التى أعـــلن الحرب من أجلها على الروم فى عهد القيصر الكسندرسويروس وأخذ منه جميع تلك البلاد، ثم وسع خلفاؤه الملك بفتوحات جديدة حتى صارت هذه الدولة من أعظم دول الأرض فى تلك الأزمنة .

وتـــولى بعد أردشير الأول أبنه شابور الأول (٢٤١ م – ٢٧٢ م) الذى أدخـــل القسم الأعظم من جزيرة العرب تحت حماية الفرس ، وبنى فى العراق مدينة تكريت التى صارت بعد حين مركزاً لليعاقبة النصارى، وظهر فى أيامه مانى المشهور الـــذى أدعـــى النـــبوة فى بـــلاد فارس، وشابور هذا وهو الذى أسر ملك الروم والـــريانوس قيصر وأرسله أسيراً إلى بابل بعد حروب شديدة استمرت أعواماً بين الدولـــتين ولكـــنه اندحر أخيراً أمام أذنية الثانى العربى ملك تدمر الخاضع لسيادة الـــرومانيين حتى استردت منه بأسم الرومانيين جميع بلاد الجزيرة وظل يطارده حتى دخل العراق وحاصر مدينة سلوقية سنة ٢٦١ م ثم رجع بمن معه من جيوش العرب والروم. لاختلال حدث فى المملكة الرومانية .

وتـــولى بعده ابنه هرمزد (هرمز) الأول سنة ٢٧٢ م ثم بهرام الأول سنة ٢٧٣ م وهـــو الـــذى قتل مانى وسعى فى محو مذهبه من بلاد فارس وأعلن الحرب عـــلى الـــروم فأنخذل أمامهم فطاردوه إلى العراق واستولوا على مدينتى سلوقية واكتســـيفون ثم رجعـــوا إلى ما بين النهرين ، وخلفه بهرام الثانى ٢٧٦ م ثم بهرام الـــثالث ســـنة ٢٩٣ م فلم يملك غير أربعة أشهر فتولى فى السنة نفسها نرسى بن بهـــرام الـــثانى وهو الذى حفر فى العراق بنواحى الكوفة نهر النرس الذى يأخذ من

الفـــــرات [1]. وفى أيامه جعل نهر الخابور حـــداً فاصلاً بين العـــراق والروم أو بين المملكة الفارسية والمملكة الرومانية وتولى بعده هرمزد الثانى ســـــــنة (٣٠٢ م – ٣٠٩ م) وفى كل هذه المدة لم يحدث فى العراق اضطراب أو اختلال داخلى .

شابور الثانى

والعـــرب العراقيون

تـــولى شـــابور الـــثانى بعد هرمزد الثانى سنة ٣٠٩ م ولصغر سنه نصب الفـــرس وصـــياً عـــليه ليتولى شؤون المملكة فساءت الأحوال بادئ بدء وكثرت الاضـــطرابات فى المـــلكة حتى طمع العرب فيها وجاء منهم – زيادة على من فى العراق منهم – عدة قبائل من البحرين وغيرها وعبروا خليج فارس وأخذوا يشنون الغارات على الأطراف، وأغارت قبيلة إياد على سواد العراق ونهبت وغنمت وظل العرب أعواماً وخصوصاً إياد معادين للفرس والفرس لا يقاتلونهم .

فـــلما بلغ شابور السادسة عشر وتسلم زمام المملكة بدأ بأعدائه القريبين مـــنه وهـــم العرب الذين فى العراق فتعمد أذاهم وإخراجهم من بلاده وخصوصاً قبيلة إياد التى قال فيه شاعرها:

على رغم سابور بن سابور أصبحت قباب إياد حولها الخيل والنعم

---

(١) وهـــو الـــذى كراه الحجاج بن يوسف أمير العراق فى عهد الأمويين فسمى نهر النيل وكان عليه عدة قرى من جملتها نرس .

فتمكن من الفتك بالعرب فقتل من إياد ومن تميم عدداً كبيراً وشنت جيوشه شمل العرب ففر بعضهم إلى الروم وبعضهم إلى البحرين وغيرها فطارد سابور من فى البحرين فقطع الخليج الفارسى وفتك فى البحرين واليمامة ببنى تميم ثم سار إلى الاحساء والقطيف وفتك بالعرب الذين هناك ثم عاد وحمل على ديار بكر وربيعة فيما بين مملكة الفرس والروم وفتك بهم وكان ينزع أكتاف رؤساء العرب الذين يظفر بهم فسموه ذا الأكتاف ولم يكتف سابور بما أنزله بالعرب من الفتك العظيم فى أكثر الجهات بل أنه أصدر بعد تلك الحادثة أمراً بعدم دخول العرب فى عاصمته بغير أذن منه ومن دخلها بغير أذن يقتل، وبنى مدينة الهفة فى طرف السواد فى أنحاء البطيحة فى العراق وأسكن فيها من أسره من إياد ونهى الفرس عن مخالطتهم [1] فأراد العرب الذين فروا إلى الروم أن ينتقموا منه فأتفقوا مع الروم فى عهد الملك قسطنطين الأكبر وزحفوا معهم على الجزيرة فأتسع الخرق على الفرس وجرت بين سابور وبين الروم عدة وقائع انهزم فى آخرها الفرس فطاردهم الروم والعرب حتى استولوا على اكتسيفون وغنموا ما فيها، فاضطر الملك الفارسى إلى تأليف جيش جديد فتمكن من استرداد اكتسيفون وظل يقاتل المهاجمين حتى أخرجهم من العراق وطاردهم فحالفه النصر حتى اضطر الروم إلى مصالحته وإرجاع مدينة نصيبين له ، ولما تولى عرش الروم يوليانوس حمل على الفرس سنة ٣٦٣ م وعبر نهر دجلة وتوغل فى البلاد حتى اقترب من اكتسيفون فلقيته جيوش شابور وبعد معارك هائلة انكسرت الجيوش الرومانية وقتل ملكها .

ولم يكن اضطهاد شابور قاصراً على عرب البادية بل شمل سكان المدن منهم وهم النصارى الذين كانوا منتشرين فى المدن العراقية فأنه قتل كثيراً منهم

---

(١) ولقد صارت هذه المدينة بعد ذلك منفى وصار الملوك الساسانيون ينفون إليها كل من غضبوا عليه .

وأصـــدر أمراً بمضاعفة الجزية السنوية التى عليهم وذلك سنة ٣٣٩ م واردفه بأمر آخـــرها بعد سنة قضى بهدم الكنائس ثم قتل جماعة من الاساقفة ، والذى حمله على ذلك انتشار الدين المسيحى فى عهده فى العراق انتشاراً هائلاً بين الحضر والبدو من العـــرب وتحزب النصارى وتحبسهم لقياصرة الروم الذين من مذهبهم، لا سيما فى عهـــد القيصر قسطنطين الكبير ولذلك بلغ الاضطهاد أشده فى أيامه، وهو أول من أضـــطهد النصارى من الملوك الساسانيين ، وهو الذى بنى مدينة آلوس الواقعة فى جزيـــرة صغيرة فى وسط الفرات شرقى حديثة وجعلها مسلحة تحفظ ما قرب من البادية وهو الذى حفر خندقاً فى برية الكوفة أى من هيت إلى كاظمة مما يلى موقع البصرة يشق طف البادية [١] وينفذ إلى البحر وجعل عليه القلاع والحصون ونظمه بالمســـاح ليكون ذلك مانعاً لأهل البادية من السواد أى ليمنع هجمات العرب [٢] وهـــو جدد بناء مدينة الأنبار التى كانت على الفرات فى غربى موقع بغداد بينهما عشـــرة فراسخ، وهو الذى قوض دولة الضجاعمة العربية التضاعية وأستولى على مدينـــتها الحضـــر الـــتى يسميها اليونان " أترا" ويسميها بعضهم حطار الواقعة فى الجزيـــرة فى الجـــنوب الشرقى من سنجار، وهو الذى بنى القصر المشهور فى مدينة اكتســـيفون وجعلـــه دار الملك وانفق على بنائه أموالاً طائلة [٣] وتولى بعده أخوه أردشـــير الثانى سنة ٣٧٩ م ثم خلع سنة ٣٨٣ م واجلس مكانه شابور الثالث ثم بهرام الرابع سنة ٣٨٨ م وفى أيامه أغار الهونون على أرمينيا سنة ٣٩٦ م ثم على

---

(١) الطف ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق .

(٢) ولا زالت أثار هذا الخنوق باقية حتى اليوم ولا تزال العرب حتى الآن يسمونه خندق سابور .

(٣) يقـــــال أنه قضى فى بنائه عدة سنوات وجعله فى وسط المدينة على مقربة من دجلة ثم زاد فيه كسرى أنو شروان ومن جاء بعده حتى صار من المبانى العجيبة .

ما بين النهرين وسورية واستولوا على بلاد كثيرة ثم حملوا على العراق حتى أقتربوا من اكتسيفون فحمل عليهم بهرام السبايا الذين سبوهم من بلاد الروم وكانوا نحو الثمانية عشر ألف نسمة فأعاد بعضهم إلى بلادهم وأسكن بعضهم العراق وذلك سنة ٣٩٩ م .

ثم تولى يزدجرد الأول الملقب بالأثيم سنة ٣٩٩ م وكان يحب العرب ويكرمهم وكان لملك الحيرة النعمان الأول عنده منزلة رفيعة حتى أنه ابنه بهرام اعطاه وهو طفل للنعمان ليربيه فى الحيرة لطيب هوائها وعذوبة مائها فرباه النعمان احسن تربية وعلمه الكتابة والحكمة والرمى والفروسية وكل ما يلزم للملوك وبنى له قصراً فخماً وبقى عنده حتى مات أبوه .

وفى عهده اضطهد الفرس النصارى فأتخذ الروم ذلك الأضطهاد ذريعة للحرب فتظاهروا بنصرة أبناء مذهبهم وأشهروا الحرب على الفرس وبعد عدة وقائع اتفق الفريقان على الصلح وأرسل ملك الروم أركاديوس وفداً إلى العراق فنزل الوفد فى البلاط الملوكى باكتسيفون فتم الصلح على شروط رضياها من جملتها رفع الاضطهاد عن النصارى الذين فى المملكة الفارسية، وعقد يزدجرد معاهدة صلح لمائة سنة وأزال الأضطهاد عن النصارى وأذن لهم بتجديد الكنائس التى خربت فى الاضطهادات وأطلق لهم الحرية التامة .

وخلفه ابنه بهرام الخامس أو بهرام جور سنة ٤٢٠ م وهو الذى رباه النعمان الأول ملك الحيرة وساعده على لبس التاج لأن الفرس اختلفوا فيمن يملكون عليهم من أولاد يزدجرد الأول الذين ثارت بينهم الفتن عند موت أبيهم فأستنجد بهرام بالنعمان فجهز لنصرته جيشاً كبيراً من العرب وسار به إلى اكتسيفون واجلس بهرام على كرسى المملكة. ومن أجل ذلك أحب هذا الملك

العـــرب حباً جماً ورفع منزلة ملك الحيرة على سائر رجال دولته فأعتلا شأن العرب فى عهده .

وتـــولى بعـــده يزدجر الثانى سنة ٤٣٨ م ثم هرمزد الثالث سنة ٤٥٧ م فـــنازعه أخوه الأكبر بيروز أو فيروز على الملك واستنصر بالهياطلة [1] فأمده ملكها بـــثلاثين ألـــف مقاتل فحارب أخاه حتى استولى على العرش بعد أن قتل أخاه سنة ٤٦٠ م فـــلما كانت سنة ٤٨٤ م قتل هذا الملك فى حربه مع الروم فخلفه بلاش بـــانى مدينة ساباط بالقرب من اكتسيفون فنازعه أخوه قباذ على الملك ولكنه مات فى اثـــناء ذلك فصفى الجو لقباذ وجلس على العرش سنة ٤٨٨ م. وفى أيامه ظهر مزدك الشيوعى ونشر الشيوعية فى بلاد فارس وتبعه الملك قباذ وساعده على نشر مذهـــبه فى الممـــلكة الفارسية حتى كادت تسرى الشيوعية إلى العراق ، وأمر قباذ جميع الولاة والحكام والموظفين فى خدمة الحكومة الحكومة بأتباع هذا المذهب فاتبعه فـــريق منهم طوعاً وآخرون كرها وأبى اتباعه جماعة كبيرة منهم المنذر الثالث ملك الحـــيرة فعزله قباذ وولى على الحيرة كندة الحارث بن عمرو عدو المنذر، فلما زاد تعصـــب قـــبـــاذ للشيوعية اتفق عظماء الفرس على خلعه فخلعوه وحبسوه سنة ٤٩٩ م واجلسوا مكانه أخاه زماسب (جامسب) .

وبعد قليل فر قباذ من الحبس بمساعدة اخوته وسار ملتجأ بالهياطـــــــلة أو البرابرة وهنـــاك أستنجد بملكهم فجهز له جيشاً كبيراً وانضم إليه اتباع مزدك فزحف قباذ على أخيه وبعد حروب قهره وعاد إلى العرش ثانية سنة ٤٩٨ م .

---

(١) بلاد الهياطلة هى البلاد التى خلف النهر الأعظم مما يلى أرض بلخ .

فلما عاد قباذ ورأى الفرس قد غضبوا عليه بسبب أتباعه لمذهب مزدك الشيوعى تركه وتظاهر بالمجوسية ، وهو الذى جعل الخراج بالمساحة فى العراق بعد أن كان أسلافه يأخذون الخراج بالمقاسمة .

فضرب قباذ على الجريب الواحد من الأرض درهماً وقفيزاً مهما يكن حاله من الخصب أو الجدب [١] فبلغت جباية العراق فى أيامه مائة وخمسين مليون درهم فى السنة حيث كانت بلاد العراق حينذاك زاهية بالبساتين والحدائق والمزارع العظيمة والأنهار خصوصاً وأن هذا الملك كان قد نشط التجارة والزراعة وحفر عدة أنهار فى العراق .

وتولى بعد قباذا أبنه كسرى أنو شروان العادل سنة ٥٣١ م فأصلح أمور الدولة ونظم جيوشها وعدل الشرائع التى وضعها أردشير الأول [٢] فزهت فى أيامه المملكة الفارسية وتقدم العراق نحو المدنية والعمران حتى أصبح حافلاً بالعلماء من أهل البلاد الأصليين والفرس وغيرهم ونبغ فيه جماعة من النصارى فى الطب والفلسفة وزادت ثروة أبناء الرافدين وسعدوا برقى بلادهم، فبلغت جباية العراق فى عهده مائتين وسبعة وثمانين مليون درهم لأن هذا الملك بذل جهده فى أنماء ثروة البلاد واجتهد كثيراً فى تنشيط التجارة وتوسيع أمور الرى والمعارف ونشر العدل وبث الأمن . ورغب الناس فى العلوم فأنتشرت فى أيامه الفلسفة اليونانية والعلوم المختلفة ، وهو الذى حفر نهر الفاطول فوق سامرا المعروف بالقاطول الكسروى الذى كان يأخذ من دجلة فى الجانب الشرقى ويصب فى النهروان وحفر نهر دن بقرب أكتسيفون وحفر غير هذا عدة أنهار وترع فى العراق ، وبنى مدينة بالقرب

---

(١) الجريب ٣٦٠٠ ذراعاً مربعاً والقفيز عشر الجريب : أى ٣٦٠ ذراعاً أو مربعاً .

(٢) ويسمى كسرى الأول ومعنى كسرى : واسع الملك . ومعنى انو شروان : ذى النفس الكريمة .

مـــن أكتسيفون وهى مدينة نطيخوسرو أى أنطاكية الجديدة لأنها كانت على شكل انطاكية الروم فسمتها العرب رومية المدائن وسماها الكلدان ماحوزا حدثاً أى القلعة الجديدة وزاد فى القصر الملوكى الذى أسسه شابور ذى الأكتاف بأكتسيفون وأكثر مـــن زخرفـــته، وأعاد المنذر الثالث ملك الحيرة إلى ملكه ، وقتل مزدك وكثيراً من أتـــباعه وأجـــتهد فى محو الشيوعية حتى أزالها من مملكته ، وعدل قانون الجزية أى انقصها عما كانت عليه أيام أسلافه ترفيهاً لرعاياه. وأستثنى منها أهل البادية وهم عرب العراق أى أن هذه الجزية أو الضريبة السنوية على أهل المدن فقط . ولما جاء الإسلام أراد عمر أن يجعلها على العرب أولاً ثم عفى عنهم . فأصدر أمراً عاماً الزم بـــه الـــرعية الجزية ما عداً العظماء وأهل البيوتات والجند والهرابذة والكتاب ومن بخدمـــة المـــلك كل إنسان على قدره فجعلها أثنى عشر درهماً وثمانية دراهم وستة دراهم وأربعة دراهم وعفى عمن كان عمره دون العشرين أو فوق الخمسين، وأمر أن يوضـــع عمن أصابت غلته جائحة (أضرار) بقدر حاجته، وبجمع الجباية فى كل أربعة أشهر مرة واحدة وبهذا التعديل خفف عن رعاياه، وفى أيامه غزت قبيلة إياد القوافل فحمل عليهم أنوشروان وكانوا قرب مكان الكوفة ففتك بهم وطردهم من العـــراق فهاجروا إلى الجزيرة وعلى أثر ذلك جدد سور مدينة آلوس ووضع فيها جـــنوداً لصد هجمات القبائل العربية التى كانت تغير على ما قرب من السواد إلى البادية .

وجـــلس على سرير المملكة بعده هرمزد الرابع سنة ٥٧٩ م ثم خلع على أثـــر فتنة قامت بينه وبين القائد العام بهرام الذى انحازت إليه الجيوش كلها فأجلس الفـــرس عـــلى العرش ابنه ابرويز سنة ٥٩٠ م (كسرى برويز أو كسرى الثانى) حســـماً لـــلنزاع وتسكيناً لفتن والاضطرابات فأزداد القائد عتواً وطمع فى العرش فـــدارات رحى الحرب بينه وبين الملك ابرويز وبعد عدة وقائع جرت بالنهروان فى

العراق انتصر بهرام واستولى على أكتسيفون وأغتصب العرش وأعلن نفسه ملكاً ، أما ابرويز فأنه فر بعد انكساره إلى القسطنطينية مستنجداً بالأمبراطور موريس (موريقى) فأكرم وفادته وزوجه بابنته ثم جهز له جيشاً عرمزراً وأمده بالأموال فسار ابرويز بالجيش حتى أقترب من العراق فلاقاه بهرام وبعد معارك هائلة دامت مدة انتصر ابرويز انتصاراً باهراً ومزق جيوش بهرام وظل يطارده إلى أذربيجان وهناك انتصر عليه انتصاراً نهائياً ففر بهرام إلى بلاد الترك وعاد ابرويز إلى عرش الملك ودخل أكتسيفون بأحتفال عظيم بعد أن دامت الحروب بينه وبين بهرام أربع سنوات .

وعلى أثر هذا الفوز تنازل ابرويز للروم عن مدينتى دارا وميافارقين اللتين أخذهما أبوه هرمزد منهم وأرسل إلى الأمبراطور موريس هدايا نفيسة واجزل العطاء والصلات إلى قواد الروم الذين جاؤوا لنصرته وفرق الأموال فى العساكر الرومية فعادوا إلى مقرهم وعقد ابرويز معاهدة الصلح مع الروم وأصبحت الدولتان فى وفاق وداد خصوصاً وان ابرويز أضحى صهر موريس ، ولكنه الغى تلك المعاهدة وأشهر الحرب على الروم سنة ٦٠٢ م عندما خلعوا الأمبراطور موريس وقتلوه وأجلسوا مكانه فوقا على أثر فتنة أهلية حدثت فى مملكتهم فحمل عليهم ابرويز بجيوشه سنة ٦٠٤ م أخذاً بثار حميه موريس ودامت الحروب بين الأمتين أعواماً وبعد أن توغل الفرس فى مملكة الروم واستولوا على أكثر ممتلكاتها ومستعمراتها وكادوا يفتحون القسطنطينية ويقضون على تلك المملكة انعكس الأمر عندما تولى هراقليوس عرش الروم وأخذوا يستردون من الفرس مدينة بعد أخرى وظل الفرس يتقهقرون والروم يتقدمون حتى أقترب هراقليوس بجيوشه من نينوى وهناك دارات رحى حرب طاحنة دارات بها الدائرة على الفرس وأستولى الروم على نينوى سنة ٦٢٧ م ثم على كركوك ثم تقدموا نحو العراق حتى وصلوا

الـــزاب الأكبر وهناك حدثت حرب أخرى دموية فأنكسر الفرس فيها أيضاً وأخذ الـــروم يتقدمون والفرس يفرون حتى وصل هراقليوس إلى الدسكرة [١] ثم تقدم إلى الـــنهروان فأختل أمر الفرس واضطربت أحوالهم فأجتمع كبراؤهم فخعلوا ابرويز وولوا مكانه ابنه شيرويه وذلك سنة ٦٢٨ م .

ففـــاوض الملك الجديد الروم فى الصلح فأجابوه وتم عقد الصلح بينه وبين هراقـــليوس عـــلى ما يرضى الروم فعادوا إلى بلادهم ، وعلى أثر ذلك قتل الملك شيرويه أباه ابرويز .

وابرويـــز هذا هو الذى قتل النعمان الثالث ملك الحيرة سنة ٣١٦ م وولى بدله على الحيرة إياس بن قبيصة الطائى [٢] وهو الذى أرسل إليه صاحب الشريعة الإســـلامية (صـــلى الله عليه وسلم) كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام مع عبد الله بن

---

(١) الدسكرة بلدة كانت قرب شهر بان وهى غير الدسكرة التى كانت بين بغداد وواسطة وغير الدسكرة الثالثة التى كانت على نهر الملك .

(٢) هـــو إياس بن قبيصة الطائى من أشراف طئ وفصحائها وشجعانها فى الجاهلية ، اتصل بكســـرى ابرويز ، فولاه الحيرة ، ثم نحاه وولى النعمان أبا قابوس ، وتعدى الروم تخوم العجم فى أيام ابرويز فوجه إياساً لقتالهم فظفر بهم ، وبالغ كسرى فى تقديمه ثم كانت غضبة ابرويز على النعمان وقتله إياه فأعاد إياساً إلى ولاية الحيرة سنة ٦١٣ م وحدثت فى أيامـــه وقعـــة " ذى قار " التى انتصفت بها العرب من العجم ، وكان على العجم إيـــاس . فأنهـــزم ولم يبرح والياً على الحيرة إلى أن مات سنة ٤ ق هـــ / ٦١٨ م .
انظر المزيد فى : تاريخ ابن خلدون ٢/ ٢٦٥ ، الكامل ١/ ١٧٣ ، شعراء النصرانية ١٣٥ ، العرب قبل الإسلام ٢١٢ .

حذافة السهمى [1] سنة ٦٢٨ م ، الموافقة لسنة فلما حضر عبد الله أمام ابرويز سلمه الكتاب وهذا نصه (بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس سلام على من أتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله إلا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبدع ورسوله ، أدعوك بدعاية الله فأنى رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، أسلم تسلم فأن أبيت فأنما عليك أثم المجوس) .

فقرأه أبرويز فلما انتهى منه مزقه واساء إلى حامله وكتب إلى عامله باليمن يأمره أن يغزو المدينة ويأتيه برسول الله أسيراً، وعاد عبد الله إلى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره بما فعل ابرويز فقال : اللهم مزق ملكه كما مزق كتابى ، فلما خلع ابرويز كتب أبنه شيرويه إلى عامله باليمن ينهاه عن مقاتلة رسول الله .

وفى عهد ابرويز حدثت المعركة الشهيرة بوقعة ذى قار بين الفرس والعرب التى انتصر فيها العرب انتصاراً باهراً على الفرس .

ولم يملك شيرويه غير بضعة أشهر فقتل وخلفه أردشير الثالث سنة ٦٢٩ م ملكه الفرس وهو طفل فجعلوا له نائباً ليقوم بأمره وهو رئيس أصحاب المدائن

---

(١) هو عبد الله بن حذافة بن قيس السهمى القرشى أبو حذافة صحابى أسلم قديماً وبعثه النبى صلى الله عليه وسلم إلى كسرى . وهاجر إلى الحبشة ، وقيل : شهد بدراً وأسره الروم فى أيام عمر رضى الله عنه ثم أطلقوه ، وشهد فتح مصر وتوفى بها فى أيام عثمان رضى الله عنه سنة ٣٣ هـ / ٦٥٣ م ، وكانت فيه دعابة وله حديث وعده الجمحى من شعراء مكة .

انظر المزيد فى : تهذيب التهذيب ٥/ ١٨٥ ، امتاع الأسماع ١/ ٣٠٨ ، ٤٤٤٩ ، حسن الصحابة ٣٠٥ ، اخبر ٧٧ ، تاريخ الإسلام للذهبى ٨٧/٢ ، الجمحى ١٩٦ .

(رئيس الوزراء) المدعو جسنس فتسلم هذا زمام الأمور ولكن الأضطرابات الداخلية كانت تزداد يوماً فيوماً فى الوقت الذى حمل المسلمون فيه على العراق بقيادة خالد بن الوليد فاختلت شؤون المملكة واختلفت كلمة رجال الدولة حتى آل ذلك إلى حدوث فتنة بين رئيس القواد وبين نائب الملك كان النصر فى آخرها لرئيس القواد فحمل بجيوشه على أكتسيفون وحاصرها ونصب عليها المجانيق ثم احتلها عنوة وقتل أردشير الملك ونائبه وجماعة من رجال الدولة وأغتصب العرش ونادى بنفسه ملكاً سنة ٦٣٠ م ولكنه لم يلبث أكثر من أربعين يوماً حتى وثبت عليه جماعة من الفرس وقتلوه وعلى أثر ذلك اتفق رجال الدولة على تمليك بوران بنت كسرى ابرويز فى السنة نفسها فلم تملك هذه غير سنة عشر شهراً فأحتال عليها رئيس القواد بيروز وخنقها سنة ٦٣١ م فأشتد الشقاق والخلاف بين رجال الحكومة وعظمت الأضطرابات فى المملكة الفارسية وأنقسم الفرس إلى ثلاثة أقسام، فبايع أهل اكتسيفون آزرميد وخت بنت كسرى ابرويز بايع أهل خراسان صبياً من أولاد الملوك اسمه ميهر خوسرو وبايع أهل اصطخز [1] يزدجرد بن شهريار ثم قتلت آزرميد وخت قتلها رستم حاكم خراسان بعد أن حمل عليها بجيشه ودخل أكتسيفون حرباً عقب عدة معارك ، ثم قتل ميهر خوسرو أيضاً فسادت الفوضى فى البلاد واختل النظام . والذى زاد الدولة اضطراباً وزعزع أركانها توغل العرب المسلمين فى العراق الذين جاؤوا للفتح منذ أيام أردشير الثالث أى سنة ٦٢٩ م بقيادة خالد بن الوليد فى عهد الخليفة الأول أبى بكر رضى الله عنه .

---

(١) اصطخر مدينة قديمة فى فارس واقعة فى الشرق الشمالى من شيراز وبينهما ستون كيلو متراً وكانت عاصمة الدولة الفارسية ويسميها اليونان برسبوليس أى مدينة فارس وكانت فخمة عظيمة البناء فتحها المسلمون سنة ١٨ هـ .

ثم اتفق أهل أكتسيفون على تمليك حشنشده ابن عم ابرويز سنة ٦٣٢ م فقتل هذا بعد شهر من تمليكه وولوا مكانه فيروز بن مهران من نسل أنو شروان فقتل بعد بضعة أيام وملك بدله سابور بن شهر يزان وكان طفلاً فقام بأمره أحد كبار رجال الدولة اسمه فرخ زادخسرو بن البندوان ولم يمض ثلاثة أشهر حتى الملك ونائبه وزاد أمر الدولة أديارا بسبب تلك الفتن المستمرة وطمع بها أعداؤها فلما أدرك الفرس خطورة موقفهم اجتمعوا على تمليك يزدجرد الثالث بن شهريار الذى اجلسه على العرش أهل أصطخر فأستقدموه منها إلى أكتسيفون وأجمعوا كلمتهم عليه فحضر أكتسيفون سنة ٦٣٢ م فدانت له الفرس .

انقراض الدولة الساسانية

جلس يزدجر الثالث على عرش المملكة الفارسية فى الوقت الذى كانت فيه الدولة قد ضعفت من توالى الفتن الداخلية وزادها ضعفاً توغل العرب المسلمين فى العراق وحروبهم الشديدة مع الفرس منذ أيام أردشير الثالث وأيام الخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فكان هذا الملك يبذل جهده فى إخماد الثورات الداخلية القائمة بين قومه من جهة ويصد هجمات العرب الذين جاؤا للفتح من جهة أخرى حتى ارتبك عليه الأمر ولكنه كان مع كل ذلك جلداً لا يظهر الضعف ولا يتظاهر بالعجز أمام العرب وظل يجهز الجيوش لقتالهم فأنتصروا عليه فى أكثر الوقائع وفى الأخيرة أصلوه حرباً حامية فى وقعة القادسية الشهيرة سنة ٦٣٦ م ثم أجبروه على الهزيمة من العراق إلى بلاد فارس سنة ٦٣٧ م بعد حروب عديدة فى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقامت دولة الإسلام فى العراق وأنقرضت منه دولة الفرس التى حكمته ٤١٠ سنوات (٢٢٦ م – ٦٣٧ م) .

تتمة

لما تقـــــدم

كـــان معظـــم سكان العراق فى عهد الدولة الساسانية من بقايا الاراميين الاصـــليين (وهـــم الكـــلدان أو السريان) والقبائل العربية التى منها إياد وربيعة وغيرهمـــا وعرب المناذرة سكان الحيرة وما يتبعها ويتخلل تلك الجموع شتات من الفـــرس والأكراد وغيرهم من أمم أخرى وكان الجميع فى عيش رغيد وحرية تامة بســـبب عـــدم تعرض هؤلاء الملوك بشرائع أهل البلاد وآدابهم وعاداتهم وابقائهم القوانـــين على ما كانت عليه قبلاً غير أنهم بدأوا بأضطهاد النصارى العراقيين منذ تنصـــر القياصـــرة ملوك رومية بعد أن كانوا وثنين أى منذ أيام القيصر قسطنطين الكـــبير بسبب ميل النصارى إلى القياصرة أبناء مذهبهم والتجسس لهم خصوصاً عندما كانت تقوم الحرب بين الفرس والروم فيتجسس النصارى لأبناء دينهم حتى أن بعـــض الملوك قتلوا كثيراً من رؤساء النصارى وهدموا أكثر كنائسهم ولم يكن ذلـــك وحده سبباً لاضطهادهم بل أن انتشار الدين المسيحى بين عرب العراق من بـــدو وحضر وازدياد اتباعه عاماً فعاماً فعاماً خوف الفرس من القضاء على دينهم الزردشـــتى الذى اتخذوه ديناً رسمياً لدولتهم وأجتهدوا بتقويته خصوصاً وأن الدين المســـيحى كـــان قـــد صار أخيراً ديناً رسمياً لدولة الروم المجاورة لهم وصار الروم ينتصرون للنصارى الذين تحت حكم الفرس حتى أنهم كانوا يتخذون اضطهادهم فى بعـــض الأحيان ذريعة للحرب مع الفرس ومع ذلك كله فقد كان أهل العراق فى

عهد هذه الدولة سعداء بالنسبة إلى الأمم الأخرى الراضخة لحكم الأجنبى فى ذلك العهد .

أمـــا حالة العراق من الوجهة الاقتصادية فكانت حسنة جداً لأعتناء هؤلاء الملوك بالرى واهتمامهم بتوسيع نطاق الزراعة وتنشيط التجارة ورقيها ومن أجل ذلك كان العراق فى عهدهم غنياً جداً وقد بلغت ثروته حينذاك مبلغاً عظيماً بفضل الـــزراعة والـــتجارة والصناعة واشتغل أبناء الرافدين فى أيامهم بالتجارة براً وبحراً وتبادلوا بها مع أهل الأقطار البعيدة كمصر وسورية والهند وفارس وغيرها ، بل أن زراعـــة العراق كانت فى عهدهم أرقى زراعة فى العالم بفضل ما حفروه من الترع والأنهـــار [١] وأصـــبحت جباية هذا القطر عظيمة خصوصاً فى عهد أردشير الأول ودارا الأول وقـــباذ وانوشروان [٢] ولم يكن اهتمام الملوك قاصراً على رقى التجارة وأنمـــا الزراعة فحسب بل أن أكثرهم اهتموا بنشر العلوم أيضاً فأنشأوا فى العراق المدارس والمراصد والبيمارستانات وخدموا المدينة القديمة بأنظمتهم ومؤسساتهم .

أما جباية خراج العراق فكانت فى عهدهم بالتعديل أى أنهم كانوا يأخذون خـــراج الأراضـــى بالمقاسمة فلما تولى قباذ بن فيروز جعل الخراج بالمساحة فضرب

---

(١) فمـــن الأنهر التى حفروها نهر الترس الذى احتفره الملك نرسى بن بهرام ، ونهر الصراة الـــذى أحتفره أردشير الأول ، ونهر القاطول ونهر دن الذين احتفرهما أنو شروان هذا عـــدا الأنهار الصغيرة التى منها ما يأخذ من الفرات ومنها ما يأخذ من دجلة وعداً ما كـــروه من الانهار القديمة وما أنشأوه من السداد والجسور ومخازن المياه وما بنوه من المدن والقلاع .

(٢) وقـــد بلغت جباية العراق فى عهد قباذ مائة وخمسين مليون درهم وفى عهد أنو شروان ٢٨٧ مليون درهم وفى أيام أردشير الثالث حينما كانت الفتن مستمرة والاضطرابات متوالية مائة وعشرون مليون درهم سنوياً عداً ثلاثة ملايين تدفع للبلاط الملكى .

عـلى الجريب الواحد درهماً وقفيزاً مهما يكن حاله من الخصب أو الجدب . أما الجـزية فعـلى ما يروى أنها لم تكن عندهم قبل أنوشروان بن قباذ وأنه هو الذى وضعها حينما عدل قوانين دولته وكان قد أصدر قانوناً بالزام الناس الجزية ما خلا العظمـاء وأهل البيوتات والجند والمرازبة والكتاب ومن فى خدمة الملك كل إنسان على قدره فجعلها أثنى عشر درهماً وثمانية دراهم وستة دراهم وأربعة دراهم .

وكـانوا قـد جعلوا فى كل مدينة ديواناً خاصاً بالخراج تدون فيه أعماله ودخلـه وخرجه وله كتاب وجباة وعمال من أهل البلاد، وعلى كل مدينة حاكم يسوسـها ويديـر دفـة إدارتها ويرأس جندها وقد أطلقوا على الولاة الكبار أسم الموهـباط مـن الفارسـية مه آباد وعلى الذى يتولى الحدود مرزبانا (أى حافظ الحدود) وعلى العمال الذين هم أحط منزلة اسم الرد، وكانوا لا يولون الولاية إلا القائد محنك يعهدون إليه الحرب والإدارة أى القيادة والولاية .

وكـان هـؤلاء الملوك يقيمون أيام الشتاء فى مدينة أكتسيفون المدائن التى صـارت فى آخـر أيـامهم أعظم مدينة ويقضون المواسم الثلاثة الباقية فى مدينة اصـطخر بفـارس ثم صاروا أخيراً يقضون أكثر أيامهم فى أكتسيفون ، وقد سموا بالآكاسـرة منذ أيام كسرى أنوشروان بن قباذ ومعنى كسرى واسع الملك وجمعه أكاسـرة وعاشـت هذه الدولة ٤٢٥ سنة (٢٢٦ م – ٦٥١ م) وقام فيها ٢٨ مـلكاً أولهـم أرد شـير بن بابك وآخرهم يزدجر الثالث الذى قتل سنة ٦٥١ م الموافقة لسنة ٣١ هـ فى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه وبقتله انقرضـت هـذه الدولة ومحيت من عالم الوجود على يد العرب المسلمين بعد أن كانت من أكبر دول العالم وتشتمل على بلاد إيران والديلم وجورجان وبلاد بابل (العـراق) وبـلاد أشـور التى فى ضمنها كردستان وبلاد الجزيرة (بين النهرين) وجزائر خليج فارس وقسم من بلاد العرب منها بلاد اليمن .

ولم يكـــن ســـبب انقراض هذه الدولة العظيمة المجد المترامية الأطراف غير الانقسامات التى حدثت فيها والثورات الأهلية المتوالية والفتن المستمرة بين الأسرة المالكـــة تارة وبين رجال الدولة أخرى والحروب التى كانت تقوم بينهم وبين الروم فى أزمـــان مختـــلفة أهمهـــا الحروب التى استعرت نارها فى عهد أبرويز حتى تمكن الضـــعف مـــنها فـــتمكن العرب المسلمون من محوها واستولوا على جميع بلادها بالـــتدريج فأنهم قرضوا دولتهم من العراق سنة ٦٣٧ م الموافقة لسنة ١٦ هـــ ثم قرضوها من بلاد فارس سنة ٦٥١ م الموافقة لسنة ١٦ هـــ وأصبحت هذه الدولة منذ ذاك فى خبر كان .

ولم تقم بعد الدولة الساسانية دولة للفرس فى العراق أعواماً طوالاً بل أنتقل الحكـــم فى هذا القطر بعد انقراضهم إلى الخلفاء الراشدين ثم إلى بنى أمية ثم إلى بنى العباس حتى إذا ما ضعف شأن الخلافة العباسية فى بغداد فى الوقت الذى قامت فيه دولـــة فارســـية فى بـــلاد فارس على يد بنى بويه طمع هؤلاء فحملوا على بغداد وأسسوا فيها دولة فارسية فى سنة ٣٣٤ هـــ الموافقة لسنة ٨٤٥ م ثم تلتها الدولة الصفوية بعد حين من الدهر ثم الدولة الزندية فى العهد العثمانى وسنذكر ذلك فى محله .